عليه ومتحكم به، فحين بدأت أزمة العقارات في أميركا عام 2008، سرعان ما تحولت لأزمة عابرة للحدود. وكشفت بوضوح أن التناقض الحقيقي ليس بين هويات وقوميات، وإنما بين الـ 99% المستغلين والـ1% المستغل. فمع أن البنوك والشركات الكبرى هي المتسببة في تلك الازمة، إلا أن الحكومة الاميركية تدخلت لإنقاذها وحمايتها تاركة المواطن المنتمي للغالبية الساحقة غير المقتدرة، لقدره بغض النظر عن لونه أو عرقه. وفي مصر على سبيل المثال، مارس نظام حسني مبارك آنذاك ذات السلوك والمنطق تجاه ارتدادات هذه الازمة العالمية، حيث هرب بالدولة من تحمل مسؤولياتها تجاه الغالبية المحتاجة، ممعناً في سياسات الخصخصة التي لا تعود بفائدة إلا على أصحاب الـ 1%.

بينما الوهم هو التغاضي عن عولمة الاستغلال والقهر هذه، واستبدالها وحرفها باتجاه عولمة الدين والعرق وطرحه على انه هو نقطة التناقض ومحور الصراع. حينها ستفتت حشود الغالبية المقهورة لتصبح قوميات وعرقيات وأديان ويتحول التناقض من ما بين أقلية تملك كل شيء وغالبية لا تملك، الى صراع أعمى داخل الغالبية المحرومة نفسها ومع ذاتها. حينها نعود لنتصور الشمال كما نتصوره اليوم بغباء انه واحد موحد غني، وأن الجنوب ايضاً واحد موحد فقير. هل هنالك من هدية أجمل من ذلك يمكن أن نقدمها بكل سذاجة للأقلية التي تسرق أحلامنا بغض النظر عن هوياتنا؟

بعد اعتداءات 11 سبتمبر على أميركا، قام جورج بوش الابن بتدشين المرحلة التي نعيشها اليوم والتي رأينا مظاهرها في «شارلي ايبدو»، حيث صور بأن الصراع

> **لا يكفي أن نعرف أننا مستغلون ولكن الأهم أن نعرف كيف يجري استغلالنا**

المقبل هو حضاري، اي بين الارهاب والحضارة أو ما بين التعصب والديمقراطية، مطبقاً بذلك ما كتبه له مفكرو الرأسمالية من أمثال هنتغتون وفوكوياما. وكنا في العالم العربي أول من صدق هذه الكذبة، فرددنا كالببغاء مقولة «الحرب على الإسلام»، في حين لو دققنا النظر في ما فعله بوش في اليوم التالي لتلك الاعتداءات لوجدنا أنه سبح بدماء مواطنيه للوصول الى منابع النفط في العراق وأشعل الحروب لمصلحة شركات السلاح.

لم ندقق حينها كيف تم الربط سريعاً ما بين تلك الهجمات والعراق، مع ان من تبناها كان انذاك يسكن افغانستان. ولم نسأل أنفسنا اذا كان بوش يكرهنا لأننا مسلمون فلماذا ذهب الى بغداد وترك السعودية حيث تسير الجاهلية هناك على قدمين من ذهب؟ أو اذا كان يكرهنا لأننا عرب، فما هو سر العداء بينه وبين فنزويلا مثلاً؟ ولست متأكداً اذا كنا سنفهم الاجتماع الدولي في باريس على انه اجتماع لممثلي الـ1% من نخبة المال أم هو اجتماع من يكرهون عرقنا ولوننا؟

هذا التحليل لا يعني تحييد عناصر الثقافة والتاريخ بالكامل من العلاقات الدولية والعلاقة ما بين الشعوب، بالعكس فهي موجودة ولها تأثيرها، ولكن ما يختلف هنا هو منطق طرحها وسياق فهمها وبالتالي طريقة التعامل معها. فهنالك جهل كبير في معرفة كل من الشرق والغرب ببعضهما. لدى كل طرف صور نمطية جاهزة عن الآخر وهي صور لها سياقاتها التاريخية والاجتماعية، فالاستشراق كان وما زال في جانب منه سلاحاً للسيطرة على الشرق وتجهيل الغربي لتسهل تعبئته ضده. أبدع محمود درويش حين لخص ذلك في قصيدته «طباق» التي يتحدث فيها عن ادوارد سعيد قائلاً في جزء منها: «يقرأ نيويورك تايمز. يكتب تعليقه المتوتر. يلعن مستشرقاً يرشد الجنرال الى نقطة الضعف في قلب شرقية». هذا المستشرق ما زال موجوداً بصور وهيئات مختلفة، فالإعلام الغربي اليوم يقوم بهذه المهمة على احسن وجه، فهو منحاز في أغلبه. مضلل وباتر للحقائق. كتاب وروائيون أيضاً يؤدون المهمة ذاتها، يرشدون الجنرال الى نقاط ضعفنا وسبل السيطرة علينا. وربما نحن هنا علينا ان نقر ونعترف بأن نقطة ضعفنا ضمن هذا المشهد تكمن في اننا ما زلنا تربة خصبة لتدار فيها حرب وهمية اسمها «صراع الحضارات». فنحن لم نحسم بعد علاقتنا بالتاريخ والدين، ولم نجد التعبيرات الحديثة لهوية تنتمي للعصر الحديث، لذلك هنالك من يلاحق الكاتب والكلمة في بلادنا قبل ان يذهب الى فرنسا. لا يمكن تصور الراسمالية من دون عدو خارجي. ان لم يوجد في الحقيقة فستصنعه من وهم، لان له فوائد كثيرة أبسطها انه يضلل المواطن الغربي عن عدوه الحقيقي بالأمس كانت الشيوعية هي ذلك العدو الخارجي، وبعد ان انهار الاتحاد السوفياتي سارعت لتجعله الاسلام.

لذلك علينا ان ندرك منطق الأشياء، فلا يكفي ان نعرف اننا مستغلون ومسلوبون، ولكن الاهم ان نعرف كيف يتم استغلالنا ولأية أسباب وباية اساليب، وإلا حينها سنقع ضحايا جهلنا وسنطيل من عمر السيطرة علينا، وسنكون جنوداً في حرب وهمية غير حقيقية. الشاب المتأسلم والمنتمي لحركات اسلاموية ليس هو المدافع عن حقوقنا ولا المعبر عنها.

* صحافي فلسطيني ـ فرنسا

القتل المجنون في باريس سبق ان تكرر في اكثر من عاصمة غربية (افب)

من كبار القيادات المصرية الدينية والفكرية والسياسية والحزبية في أيلول1981 قبل اغتياله في السادس من تشرين الأول. إن الإنصاف يسمُ المرحلة الساداتية كتتويج لنجاح مبهر للاستراتيجية الصهيونية في أرض العرب، وجاء السادات ليكون بحقٍّ رائدَ طريق التخلي والتنازل.

تمت استعادة السادات في العقدين الماضيين على مراحل، وبدأ التسويق لعبقرية الرجل وأسبقيته في فهم مستقبل الصراع، وكشخصية نموذجيةً في البراغماتية السياسية واقتناص الفرص والذكاء منقطع النظير، بينما لا يغدو مقياس كل الصفات السابقة إلا عبر مقارنته بالوضع الكارثي والواقع المذري الذي آلت إليه الأمة العربية في عصرها الراهن، مقارنةً واستجلابً مشبوهان خارج ظروفه الموضوعية وزمنه الحقيقي.

تقدمت أولاً دولُ الخليج العربي باستعادة «حكمة» السادات في وجه العدوان العراقي عليها كخطاب «نكاية ومناكفة» للتيار القومي العربي بعد احتلال العراق للكويت. راحت الصحف الخليجية تصف القوميين العرب بالقومجية، وخطابهم بالخشبي. وذهب أحدُهم إلى تقسيم العرب عبر مجلة العربي ذاتها إلى ثلاثة أصناف: عرب العز وعرب الطظ وعرب الرز. احتفظ الخليجيون لأنفسهم بوصف عرب العز بينما تركوا للقوميين العرب بدولهم المختلفة بقية الأنواع الأخرى بين عرب الطظ، أولئك الثوريين المعاديين للهيمنة الغربية، وعرب الرز الذين ليسوا إلا أفواهاً جائعة فقيرة بحاجة للسدِّ والإغلاق بمزيد من الطعام.

إن المرحلة الساداتية في مصر تكاد تكون هي القاطرة التي أوصلت مصر إلى حالتها المأزومة الراهنة. ولعلها تستعاد اليوم في مصر من قبل «الإخوان» والمسؤولين عن قتله كفعل ندمٍ لأفضال الرجل على التيار الديني وقتها، حيث شهدت الأحزاب الدينية فترة سماح وانفلاش بعد كمون، ومارست تأثيراً كبيراً لطحن الأحزاب القومية الناصرية التي كانت تنغص على السادات خطَّه السياسي، قبل أن يدخل معهم في مواجهة قبيل قتله بأيام. وهنا يُرجع لخطابه الأخير رداً على موجة الاعتراض الشديد عليه، فقد وصف شيوخ المسلمين الذين ترك لهم مساحة التفرد في الساحة السياسية بأوصاف لا تليق، وأنه لن يرحمهم مطلقاً، وسيكون مصيرهم «مرمين في السجون كالكلاب» مثل الشيخ المحلاوي أو التلمساني.

فيما لا يستعاد السادات من قبل السلطة الحاكمة الحالية والشعب المؤيد لها إلّا بسبب كونه وجهاً آخر للقيادة العسكرية المصرية، تماماً مثل عبدالناصر وحسني مبارك والسيسي، غير أن المرحلة الجارية المقبلة تحمل إرهاصات الحلم الناصري القومي أكثر من كلِّ المشاريع الأخرى.

الغريب المدهش أن تستعيد أصواتُ البعث العراقي الإعلامية سيرةَ السادات في هذه المرحلة، وتكررها مرات متعددة في الأسبوع الواحد. ولا يجد من يذكّر «القوميين» العراقيين أنهم كانوا أولَ من سارع إلى تشكيل جبهة الرفض العربي، وجبهة الصمود والتصدي في وجه خروج مصر المنفرد من الصراع، وأسبغ على السادات صفة الخائن لقضايا العرب.

> **تمت استعادة أنور السادات في العقدين الماضيين على مراحل**

في هذا الزمن الذي يصبح فيه نبيل العربي أميناً عاماً للجامعة العربية، وعبرها تمرر كل القرارات التي تستبيح الدول العربية أرضاً وجواً، وتُرسم فيها الحججُ والذرائع لكل غزوات الأطلسي في أراضي العرب.

وفي وقت يُطرح اسم حمد بن جاسم وزير الخارجي القطري كمرشح لمنصب الأمين العام للأمم المتحدة، وجلَّ ما يفاخر الرجل به في سيرته الذاتية أنه كان ذات يوم عرّاباً للمناقصة التي دعيت «الربيع العربي» ومساراته الكارثية في البلدان العربية، وأنه صاحب استثمارات هائلة بفائض أموال عربية، جاءت بها حقول الغاز العربي وعوائد صفقات مشبوهة يصحو عليها العالم وينام.

في الوقت ذاته الذي يرمي به كثير من جماهير المسلمين أحمالهم وآمالهم العريضة، ويلقون بها على أكتاف أردوغان كمخلص ومنقذ أخير لنكباتهم، متناسين التاريخ القريب للسلطنة العثمانية في أرض العرب وعواقبها الوخيمة.

في وقت تطوف المعارضات العربية عواصم الدول الغربية، محرضةً على بلدانها مطالبةً العالم بذرائع مختلقة لتهديم البنى الأساسية لبلدانها ومجتمعاتها، ولا تجد موانع في طريقها للسلطة لو أجلست الوطن ذاته على خوازيق التقسيم والتفتيت وهدم الكيانات الوطنية، لم تعد هناك محرمات للوصول إلى السلطة حتى لو وضِعت يدُ الدين المقدسة في يد الدول المعادية القديمة وأحلافها التقليدية أو في أيدي العدو الصهيوني ذاته وأحضانه الآثمة.

نضطر اليوم لسماع محاضرات الحرية وحقوق الإنسان وتصدر لنا الثورات والمارشات العسكرية من أكثر الدول تخلفاً وخضوعاً للهيمنة الاستعمارية، فترسل الصحاري القاحلة رياح الخماسين لتزهر الربيع في بلادنا.

يدلُّ كلُّ ذلك على مجمل الأزمة الذي يعيشها العقل العربي، فيبادر إلى تاريخه القريب ويستخرج منه شخصيات وصفت بالانتهازية والتخلي والخيانة، ليضفي عليها هالة العبقرية والفهم والذكاء والألمعية، ويعطيها قصب السبق لمجرد أنها استطاعت التعامل مع هذا الخط التآمري على الأمة، وقدرت على انتزاع شيء منه ولو كان جزءاً بسيطاً من حقها.

شيءٌ أشبه بالمازوخية السياسية التي أدمنت ظهور المحررين الغرباء وأسواطهم الطويلة، وأدمنت جر خيوله أو الانسحاق تحت سنابكها وهللت لمدرعاته الفولاذية وتسابقت لاعتلائها وصولاً للسلطة.

تختلط الأوراق في عالمنا العربي في هذا الواقع المأسوي المأزوم، فتُستقدم النماذجُ المشبوهة السيئة خارج سياقها، ولا يدرك الذين يستقدمونها أنفسهم أن هذه النماذج ذاتها كانت هي من فتحت الطريق لهذا النفق المظلم الهابط الذي مازالت تنزلق فيه الأمة العربية من دون توقف.

* كاتب سوري